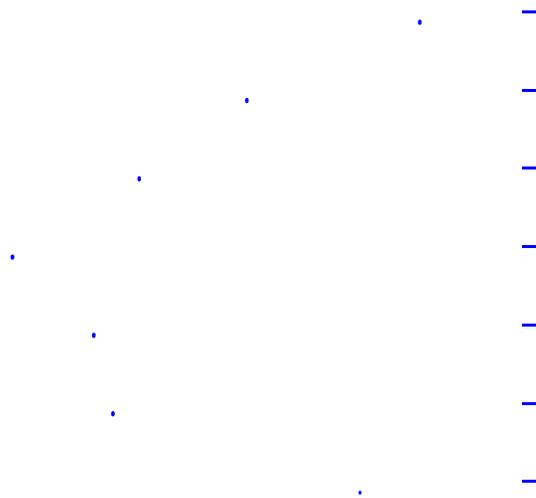


<http://k.1asphost.com/turkmens>



تمهيد :

(انظر في المصورات في نهاية المقالة)

الشركس شعب قوقازي يعيش منذ فجر التاريخ في شمال غرب القوقاز، وهو مؤلف من ثلاث مجموعات (متفرعة من أصل واحد) متقاربة لغوياً و عرقياً و هي : الأبخاز (الأبازة) و القبرطاي و الأديغة . اسم شركس نفسه هو اسم غريب عن لغتهم أطلقه الآخرون عليهم و عرفوا به من بعد، هم حالياً موجودون بشكل رئيسي في الجمهوريات الروسية التالية:الأديغة و كراتشاي-تشركسيا و كبادينو-بلقاريا . و البقية الباقية تعيش في الشتات على شكل مجموعات إثنية صغيرة نسبياً في كل من تركيا و جيورجيا و الأردن و سوريا و قد تجد قلة قليلة جداً (ربما بضع عائلات) في مصر و العراق و ليبيا و تونس و ... لغتهم تنتمي إلى مجموعة لغوية مستقلة تسمى مجموعة لغات شمال غرب القوقاز (وهي مستقلة عن اللغات الأخرى في العالم و حتى عن لغات الشعوب الأخرى في القوقاز نفسه ، وليس من رابط بينها و بين اللغات الهندو-أوربية (الآرية)) ،

و هنا لا بد من التنبيه إلى أن الشركس لا يمتون بالقرابة إلى بقية شعوب القوقاز كالشيشان و الأنغوش و الداغستان و البلقار و القرتشاي و القوميق و اللان ، لا من الناحية العرقية و لا من الناحية اللغوية ، وليس تجاورهم الجغرافي إلا من مصادفات القدر(لأن أغلب من ذكرت من هذه الشعوب هي وافدة إلى القوقاز) ، على أن طول المجاورة طبع المنطقة بنوع من التجانس و التقارب في اللباس و الرقص و الفنون الشعبية و ما شابه ذلك من تداخل بينها في كثير من الأعراف و المظاهر الاجتماعية .

ثم إن تاريخ غرب القوقاز (الشركس) يختلف كثيراً عن تاريخ بقية شعوب القوقاز : أعني القوقاز الأوسط (الشيشان و الأنغوش و اللان) و القوقاز الشرقي (الداغستان) ، فالشيشان و الأنغوش و كثير من القوميات الداغستانية هي قوميات ذات قرابة واضحة فيما بينها عرقاً و لغة و تاريخاً و لكنها تختلف في كل ذلك اختلافاً كبيراً عن جيرانهم الغربيين (الشراكسة) ، و لتأخذ مثلاً دخول الإسلام إلى القوقاز ، فالفاتحون العرب المسلمون دخلوا القوقاز (وكان كله تحت حكم الخزر) من جانبه الشرقي - و كان هو الأكثر مدنية و حضارة في القوقاز كله - وفيه كثير من المدن الداغستانية و الخزرية المهمة و أهمها **دريند** (و التي أسماها العرب باب الأبواب) في غزوات متكررة و لكنها غير مستقرة ، ومع ذلك فقد كانت تلك بداية هامة لنشر الإسلام في ربوع داغستان و شرقي القوقاز، و أما الشركس (في غرب القوقاز) فقد ظلوا وثنيين على دينهم الأصلي رغم أنهم كانوا قد عرفوا المسيحية (في أثناء خضوعهم لنفوذ الروم البيزنطيين) و اعتنقها بعضهم أيضاً ، في حين تأخر دخول الدين الإسلامي إليهم و انتشاره بينهم على نحو ما سنذكر لاحقاً . و هنا لا بأس من أن أقتبس قليلاً مما جاء في موقع " وقف القوقاز " و عنوانه على الويب :

<http://www.kafkas.org.tr/arabic/kultur/index.html>

و هو موقع لافت من أهم المواقع الشركسية على الانترنت ، يقول صاحب المقالة- وهو شركسي أديغي - بلهجة حماسية تظهر فيها عاطفته واضحة جلية في محاولة تمجيد قومه، حتى وهو يتحدث فيها بتوقير عظيم عن دينهم الوثني البدائي القديم مقروناً إلى الديانتين السماويتين المسيحية و الإسلام :

".. لم يقض الأديغة أية فترة من فترات التاريخ المعروفة دون دين فقد اعتنقوا على مر التاريخ ثلاثة أديان هامة يشكل المسيحية و الإسلام اثنين منهما. و يبحث الدين القديم للأديغة ثلاثة مواضيع أساسية تتمثل بالإيمان و العبادة و الأخلاق. كما يمكن القول بأنهم آمنوا بالسحر و الشعوذة و الطلسم و الفال و غيرها من المعتقدات الباطلة إلى جانب بعض التصورات المقدسة و عبادة بعض موجودات الطبيعة كالجبال و الأشجار و غيرها..

الإله تخا (تخا) :

كان الإيمان بإله متعالٍ يُشكّل أحد أهم معتقدات الأديغة القديمة الأمر الذي نراه في سائر الأديان. و لقد أطلق الأديغة اسم "تخا" على هذا الإله. فهو خالق الكائنات بيده مقاليد كل شئ، يرأف بعباده و يرحمهم لأنه رحيم، يمنح الصحة و هو الذي يعاقب في نفس الوقت. و يرى في هذه الصفات التي خلعها الأديغة على الإله "تخا" سمات التوحيد. يأتي في المرتبة الثانية بعد الإله "تخا" الإله "شبله" إله العواصف و هو الذي يقوم عبده الإله "تخا" بتربية البشر. إلى جانب هذا فقد آمن الأديغة ببعض الآلهة الأخرى أيضا ...

أشكال العبادة :

تحتلّ العبادة مكانة هامة في الدين القديم للأديغة و كانت تجري ضمن "غابات صغيرة مقدسة" تستخدم كأماكن للعبادة التي تتألف من عزف الموسيقى و الرقص و بعض المظاهر الأخرى. و كان "التخامادة" هو الذي يقوم بتنظيم طقوس العبادة... و كما هو الحال في سائر الأديان البدائية الأخرى في العالم تتحقق هنا أيضا الفرضية القائلة بأن المصدر الأول للدين كان الإيمان بإله واحد الأمر الذي تحول فيما بعد ليصبح إيماننا بآلهة متعددة. ففي معتقدات الأديغة السابقة كان "نخا" هو المركز الأساسي لكل شئ و هو خالق كل شئ"

الأديغة خابزة khabza :

هي القوانين الشفهية⁽¹⁾ التي تنظم جميع مبادئ الأخلاق الفردية و الاجتماعية للحياة تحت اسم " خابزة " و تعتبر " خابزة " أمرا مقدساً يقوم مجلس شوري التخاماديين بمعاقبة من لا يعمل وفقها. بعد أن قمنا بتلخيص الدين القديم للأديغة على هذا النحو يمكننا الآن الحديث عن دخول الإسلام. إن الدين المسيحي و إن كان له وجود في القفقاس قبل مجيء الإسلام إلا أنه لم يكن أبدا و في أي وقت من الأوقات فعلاً.."

دخول الإسلام بلاد القفقاس :

".. دخل الإسلام القفقاس في فترة الفتوحات التي قام بها (ال خليفة) عمر(ض)، إذ دخل داغستان عقب فتح إيران. و قد اضطرت الجيوش الإسلامية التي دخلت القفقاس في القرن السابع للهجرة (!!) (لعل الكاتب أخطأ سهواً.. و لا بد أنه قصد القرن السابع الميلادي لا الهجري) لخوض حرب طويلة الأمد مع الخزرين. في هذه الفترة بدأ كلُّ من الداغستان و الشيشان و قسم من سكان المنطقة الوسطى للقفقاس باعتماد الإسلام... أما دخول الإسلام إلى شمال غرب القفقاس (شركسيا) فكان متأخراً نسبياً مقارنة مع شرقه. إن نشر الإسلام (الذي كان قد بدأ في القرن الثالث عشر) قد أتمه كلُّ من الدولة العثمانية و خانات القرم (التتار الأتراك) في القرن الثامن عشر. " انتهى النص المقتبس .

وهكذا ترى أن الشركس (وخاصة الأديغة) ظلوا في عزلتهم الخائفة وثنين محافظين على ديانتهم الوثنية البدائية ، يمارسون في غابات القوقاز طقوساً وثنية بدائية قائمة على الشعوذة و الرقص و الطبول و المزامير و تقديم النذور و القرابين حتى القرن الثامن عشر !! و لولا فضل الأتراك(العثمانيين و خانات التتار) و إصرارهم و حماسهم في نشر دين الله بين الشركاسة لربما ظل واقعهم على ما كان عليه إلى الآن !!!

(1)- لم يعرف الشركس خلال تاريخهم الطويل أي شكل من أشكال الكتابة و لم تدعهم إليه حاجة في حياتهم البسيطة القائمة على الصيد و الزراعة و المنغلقة بشدة على نفسها في عاداتها و فلوكلورها و ديانتها البدائية بين شعاب جبال حراجية باردة قاسية .. إلى أن أسلموا على يد العثمانيين فتعلموا منهم الأبجدية العربية التي كان الأتراك قد تبناها بعد إسلامهم محبة لها (و أثروها على أبجديتهم الأصلية الأوغورية و الأورخونية) على اعتبارها خطأً إسلامياً مقدساً ، كتبت به آيات القرآن الكريم. و هكذا فيفضل الأتراك دخل الشركس عالم الهداية الإسلامية و بفضلهم عرفوا الخط لأول مرة ، ثم تبني الشركس حديثاً بعد الاستعمار الروسي لوطنهم ، الأبجدية الروسية المسماة Cyrillic alphabet و قسم آخر منهم أصبحوا يكتبون بالأبجدية اللاتينية.

اللغات الشركسية :

لم يعرف الشركس خلال تاريخهم الطويل أي شكل من أشكال الكتابة و لم تدعهم إليه حاجة في حياتهم البسيطة (القائمة على الصيد و الزراعة و تربية الماشية) و المنغلقة بشدة على نفسها في عاداتها و فلوكلورها و ديانتها البدائية بين شعاب جبال حراجية باردة قاسية .. إلى أن أسلموا على يد العثمانيين فتعلموا منهم الأبجدية العربية التي كان الأتراك قد تبناها بعد إسلامهم محبة لها (و أثرها على أبجديتهم الأصليتين الأويغورية و الأورخونية) على اعتبارها خطأً إسلامياً مقدساً ، كتبت به آيات القرآن الكريم.

و هكذا بفضل الأتراك دخل الشركس عالم الهداية الإسلامية و بفضلهم عرفوا الخط لأول مرة ، ثم تبنى الشركس حديثاً بعد الاستعمار الروسي لوطنهم ، الأبجدية الروسية المسماة Cyrillic alphabet و قسم آخر منهم أصبحوا يكتبون بالأبجدية اللاتينية.

تقول الموسوعة الأليكترونية البريطانية الشهيرة Britannica Enc.CD في مادة : **Caucasian language** و في مقام الحديث عن لغات الشركس (الأديغة و القبرطاي و الأبخاز) البدائية و عن تطور آدابهم (ابحث عن **Kabardian language**) :

"These languages are noted for the great number of distinctive consonants and the limited number of distinctive vowels in their sound systems. Abaza, like Abkhaz, has no grammatical cases. Abaza is written as well as spoken."

ما ترجمته :

" هذه اللغات مشهورة بالعدد الكبير للحروف الساكنة المتميّزة و بالعدد المحدود لأحرف العلة المتميزة في أنظمتها الصوتية. لغة الأبازة ، كلغة الأبخاز، ليس لها قواعد نحوية ، وهي تكتب تماماً كما تلفظ"

و في مادة Adygea تقول الموسوعة الأليكترونية CD -2003 Encarta:

" Their language belongs to the Caucasian language family. It was developed as a literary language in the early 20th century, originally using the Arabic alphabet, then the Latin alphabet, and finally the Cyrillic alphabet. The Adygeans became Christians during the 6th and 7th centuries, but they have been Sunni Muslims since their conversion to Islam by the Ottomans in the 18th century "

ما ترجمته :

" لغتهم تنتمي إلى عائلة اللغات القوقازية . و لقد طوّرت كلغة أدبية في بداية القرن العشرين (!!) ، في الأصل كانت الأبجدية العربية هي المستعملة ، ثم استعملوا اللاتينية ، وأخيراً أبجدية السيريليك Cyrillic (الروسية) . الأديغة أصبحوا مسيحيين (جزئياً) خلال القرنين ٦ و ٧ الميلاديين ، ولكنهم أصبحوا جميعاً مسلمين سنة منذ تحولهم إلى الإسلام على يد الأتراك العثمانيين في القرن ١٨ الميلادي " انتهت الترجمة .

و لتوضيح ما سبق تقول الموسوعة البريطانية Britannica Enc.CD (بحث: **Kabardian language**) :

" Since the October Revolution of 1917, Kabardian has been a written language. The Roman alphabet was the first system used, but from 1936 the language was written in Cyrillic." Encyclopaedia Britannica, Inc.

ما ترجمته :

" منذ ثورة أكتوبر (الشيوعية في روسيا) عام ١٩١٧م ، أصبحت لغة القبرطاي (الشركسية) لغة كتابية . وقد استعملوا في البداية الأبجدية الرومانية (اللاتينية) ثم و ابتداءً من عام ١٩٣٦م صارت لغتهم تكتب بالأبجدية السيريلية Cyrillic الروسية " انتهت الترجمة .

و هكذا و فقط منذ ما يقارب ٨٥ سنة- و بعد انتشار المدارس العامة و التعليم الحكومي الروسي و خاصة منذ بداية العهد السوفييتي- بدأنا نلمح آثار ذلك في ظهور أول أدب شركسي و أول كتابات شركسية أدبية و علمية على يد الأجيال الحديثة منهم.

على أن أبرز أدباء القوقاز الشاعر الأديب العالمي **رسول حمزاتوف** لم يكن شركسياً ، بل هو داغستاني من قومية الأفار(الأوار) وهي قومية ذات جذور تركية ترجع إلى الأفار (الجوين- جوين) الأتراك الذين هاجروا في القرن السادس من شمال الصين إلى إقليم روسيا و أسسوا في ربوعها إمبراطورية واسعة لم يكن القوقاز كله إلا جزءاً صغيراً منها.

(انظر مادتي: Juen-Juen و Avars : في الموسوعة Britannica En.-CD – أو موسوعة Encarta-CD 2003)

الموطن الأصلي للشراكسة

" لمحة جغرافية - من موسوعة Encarta- CD- 2003 "

- انظر في المصورت في نهاية المقالة-

(!!) :

١- **جمهورية الأديغة Adygea** : و هنا الموطن الأصلي الأم و الأهم للشراكسة في العالم و خاصة لشراكسة سوريا ، مساحتها : تبلغ ٧٦٠٠ كم مربع **Adygea covers a total area of 7,600 sq km**. عدد سكانها الإجمالي : ٤٤٩ ألف نسمة فقط (تقدير عام ١٩٩٧م) و أغلب سكانها هم للأسف من المستوطنين الروس و الذين تبلغ نسبة وجودهم ٧٠% من إجمالي تعداد سكانها ، بينما يشكل الأديغة (الشركس) و هم سكانها الأصليون **٢٠% فقط أي الخمس** ، و الباقي تشكله إثنيات عرقية أخرى . أي أن **عدد الشركس هناك ٩٠ ألفاً تقريباً** .

٢- **كراتشاي- تشركسيا Karachay-Cherkessia** : تبلغ مساحتها : ١٤ ألف و ١٠٠ كم مربع فقط = و مع ذلك فهي تساوي ضعف مساحة الأديغة كما ترى ! عدد سكانها : ٤٣٦ ألف نسمة . (تقدير عام ١٩٩٧م) - ٤٠% منهم من المستوطنين الروس ، و ٣٠% منهم من الكرتشاي (وهم من أتراك القبچاق) ، و **١٠% فقط من الشركس!!** ، و **٧% الأبازييني !!** و الباقي أقليات صغيرة متنوعة .. تقول موسوعة إنكرتا الاللكترونية :

The Karachay speak Karachay-Balkar, a Kipchak, or Western Turkic, language.
ما ترجمته : **الكراتشاي يتكلمون لغة "كراتشاي-بلقار " القبچاقية و هي لغة تركية غربية .**

٣- **كباردينو- بلقاريا Kabardino-Balkaria** : مساحتها : ١٢,٥٠٠ كم مربع . و تعداد سكانها (تقديرات عام ١٩٩٧) : ٧٨٩ ألف نسمة ، **يشكل عدد الشركس القبرطاي فيها ٤٩%** من تعداد السكان الإجمالي ، بينما يبلغ الروس الذين استوطنوها ٣٢% ، و البلقار (وهم من الأتراك الجوفاش) ١٢% ، و الباقي مجموعة من الأقليات الإثنية (العرقية) الأخرى كالأرمن و الأذربيين التركمان و غيرهم .. و يبدو أن القبرطاي كانوا قبيلة شركسية مميزة نوعاً ما من بين قبائل الشركس ، فمنهم كان أغلب أمراء الشركس ، و هم الأكثر عدداً بينهم ، **ففي القوقاز اليوم يبلغ عدد القبرطاي ما يقارب ٣٩٥ ألف نسمة** .

٤- **جمهورية أبخازيا Abkhazia** : وهي حالياً جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن دولة جورجيا ، مساحتها : ٨٦٠٠ كم مربع عدد سكانها الإجمالي : ٥٣٧,٤٠٠ نسمة (تقديرات عام ١٩٩٠) = تقريباً ٥٤٠ ألف نسمة . وكان الجورجيون يشكلون في أبخازيا حوالي نصف سكانها ، بينما يشكل الأباظة (الأبخاز) ٢٠% فقط و الباقي من الأرمن و الروس . حتى حدث صراع مسلح عام ١٩٩٠ في الإقليم فهاجر قسم كبير من الجورجيين (٢٠٠ ألف) . **المهم أن عدد الأباظة هنا يساوي ١٠٠ ألف نسمة تقريباً ، نصفهم من المسلمين السنة الأحناف ، والنصف الآخر من المسيحيين الأرثوذكس** .

تقول موسوعة **Microsoft® Encarta 2003** ما ترجمته :
" أبخازيا خضعت للحكم العثماني في القرن ١٦ ، و في عام ١٨١٠م أصبحت محمية روسية ثم ألحقت بروسيا رسمياً عام ١٨٦٤م . و لقد قام الأباظة بالثورات و قاوموا الهيمنة الروسية غير أن جهودهم (للأسف) باءت بالفشل ، واضطر حوالي ٣٠,٠٠٠ نسمة منهم إلى الهجرة إلى أراضي الدولة العثمانية إثر الحرب الروسية-التركية التي دامت ما بين عامي ١٨٧٧-١٨٧٨م " .

و الخلاصة هي :
إن مجموع ما هو موجود من الشراكسة في مواطنهم الأصلية التي ذكرتها أعلاه لا يتجاوز ٦٦٠ ألف نسمة !!
و مجموع مساحات جمهورياتهم في القوقاز لا يتجاوز ٤٣ ألف كم مربع ، أي ما يقل عن ربع مساحة سوريا التي تساوي ١٨٥ ألف كم مربع .

تاريخ دخول الشركس في الإسلام

(نقلًا عن موسوعة the Encyclopaedia of Islam CD-ROM - مادة Cherkes):

" The Cherkes are Sunni Muslims of the hanafi school. Islam was brought in the 16th century by the Nogais and the Tatars of the Crimea, first to the Kabards, then, in the 17th century, to the western Adygea. Penetration was slow and at first reached only the feudal nobility.

It is only at the beginning of the 18th century, thanks to the zeal of the khans of the Crimea and the Turkish pashas of Anapa, that Islam was imposed on all of the people,

replacing Christianity (introduced as early as the 16th century by Byzantium and, between the 10th and the 12th centuries, by Georgia) and the ancient pagan religion of which one still finds traces among the western Adygaes.

Before their conversion to Islam, the Cherkes worshipped agrarian divinities: Shible, god of storm and thunder, Sozeresh, protector of the sowings, Yemish, protector of the flocks, Khategnash, god of the gardens, etc. The cult of the god of thunder was linked to the worship of trees and sacred groves where, even recently, were offered sacrifices and prayers. The Cherkes had neither temples nor clergy; sacrifices were entrusted to the care of an old man elected for life."

Extract from the Encyclopaedia of Islam CD-ROM Edition v. 1.0

ما ترجمته :

الشركس (اليوم) مسلمون سنّيون من المذهب الحنفي(١) . الإسلام جُلبَ إليهم في القرن السادس عشر بواسطة كل من : شعب النوغايس [Nogais] (وهم تتر مسلمون من أصول مغولية استوطنوا في شمال القوقاز) و تتر القرم Crimea (المقصود هنا شبه جزيرة القرم الموجودة في شمال البحر الأسود، وكانت خانية تترية مسلمة).

لقد دخل الإسلام أولاً إلى القبرطاي Kabards، ثم ، في القرن السابع عشر، إلى غرب الأديغة . و مع ذلك فقد كان اختراق الدين الإسلامي لهذين الشعبين - حينذاك - اختراقاً بطيئاً ، و كان في بادئ الأمر قد وصل فقط إلى طبقة النبلاء الإقطاعيين منهم.

فقط في بداية القرن الثامن عشر، و بفضل نشاط وحماسية كل من خانات القرم (الأترک) و باشاوات منطقة " أنابة Anapa" (٢) العثمانيين الأترک فقد استطاع الإسلام أن يبسط وجوده كاملاً على جميع الشعب الشركسي ، وأن ينتشر بينهم انتشاراً واسعاً مزيجاً المسيحية (التي كان الشركس قد عرفوها و تبناها قسم منهم عن طريق الجورجيين و البيزنطيين) و مزيجاً أيضاً الوثنية الدين القديم (الأصلي) للشراكسة ، والذي لا تزال بعض آثاره باقية بين الشراكس في غرب أديغا.

قبل تحولهم إلى الإسلام، عبد الشركس آلهة الزراعة و أهمها : Shible شبله : إله العاصفة و الرعد ، و سوزرَش Sozeresh : حامي البذور، و ياميش Yemish : حامي القِطعان ، و خاتغناش Khategnash : إله الحدائق، الخ...

عبادة إله الرعد رُبطت إلى عبادة الأشجار و البساتين المقدسة ، حيث قدمت لها الصلوات و النذور ... الشركس ما كان عندهم معابد و لا رجال دين ، وإنما كانت نذورهم (أضحياتهم) تترك أمانة عند رجل مسنّ ينتخب من بينهم ليرعاها مدى الحياة. " انتهت الترجمة Encyclopaedia of Islam

(١)- طبعي أن يكون الشركس سنّيين من المذهب الحنفي تماماً كما هو حال الأترک الذين كان لهم فضل نشر الدين الإسلامي (المذهب السنّي الحنفي) بين الشراكسة ، و تعريفهم به !

(٢)- أنابة Anapa: مدينة ساحلية في إقليم كراسنودار Krasnodar (غرب جمهورية أديغة مباشرة) تقع على الساحل الشمالي-الغربي للبحر الأسود ، احتلها العثمانيون عام ١٤٧٩م بعد أن طردوا منها حامية التجار الجنوبيين ، ثم أنشأ فيها الأترک العثمانيون عام ١٧٨١م (في عهد السلطان عبد الحميد الأول) قلعة لتكون معقلاً لهم في بلاد الشركس، و لقد هاجمها الروس عدة مرات و فشلوا في احتلالها ، ثم احتلها عام ١٧٩١م ، فاستعادها العثمانيون في العام نفسه بمعاهدة ياسي Yassy، و تطورت بسرعة إلى مركز تجاري هام ، و بقيت في أيديهم حتى عام ١٨٢٩م حين تنازلوا- مرغمين- عنها لروسيا في معاهدة أدريانوبول.(نقلًا عن مادة Anapa موسوعة Encyclopaedia of Islam)

الشراكسة في العهد المملوكي

فيما يلي نصّ مترجم حرفياً عن موسوعة [Encyclopaedia of Islam](#) :Charkas
" يُشار إلى الشركس في المصادر التاريخية المملوكية باسم جاركس ، أو جراكسة (والمفرد جركسي) ، أو شركس أو شراكسة (ومفردها شركسي) .
طبغاً لما يذكره القلقشندي (في كتابه صبح الأعشى) الشركس يعيشون في فقر ، و معظمهم نصارى .
هم احتلوا مكاناً مهماً بين البرجية و هي الفرقة العسكرية التي أنشأها السلطان المملوكي التركي فلاوون (حكم ١٢٧٩-١٢٩٠م/٦٧٨-٦٨٩هـ)

السلطان برقوق نفسه ; كان شركسياً و عضواً في الفرقة "البرجية" ، وهو الذي جلبَ النصرَ النهائيَ لبني جنسيه الخاص (عندما أصبح سلطاناً) ، من خلال شراءه المنظم لأعدادٍ متزايدة من المماليك الشراكسة و منعه البات – في الوقت ذاته- لشراء المماليك من الأجناس الأخرى (!!)

و لذلك هو يُدعى بحقّ "مؤسس الدولة الشركسية" (القائم بدولة الجراكسة كما ورد في النجوم الزاهرة ج٥ص٣٦٢). مع ذلك فقد ندم على عمله هذا في آخر حياته، بعد أن قام مماليكه الشراكسة بمحاولة اغتياله (عن النجوم الزاهرة ج٥ص٥٨٥-٥٩٨) ولكن كان الوقت متأخراً جداً له كي يستطيع أن يغير شيئاً من الوضع الذي خلقه هو بيديه . و كذلك فإن ابنه و وريثه **السلطان فرج** (٨٠٩-٨١٥هـ/١٤٠٦-١٤١٢م) دفع حياته ثمناً لمحاولته أن يكسر قوة مماليكه الشراكسة من خلال المذابح الواسعة الذريعة في صفوفهم . (!!)

كُتِبَ الفتره الشركسية (أي المؤرخون و الكتاب في عهد الدولة الشركسية) حَمَلُوا ، في عموم كتاباتهم، إعجاباً عظيماً جداً للأتراك القبجاق (حكام و أمراء و حنود دولة المماليك البحرية) و انتقدوا الشراكسة بقسوة، و عَزَوْا إليهم أسباب تردي السلطنة و بؤسها و فقرها(١) (!!)
و خير مثال في هذا الصدد ما قاله المؤرخ المملوكي ابن تغري بردي
... **في كتابه المنهل الصافي** .(Manhal, iii, f 185b, ll. 14-23).....

كان تسلط الجنس الشركسي في الفتره المملوكية الثانية أكثر شدة و شمولاً بكثير من الذي كان عند الأتراك في الفتره الأولى. فعلى عكس الأتراك القبجاق كان الجراكسة عدائين جداً تجاه بقية المماليك من الأجناس الأخرى و قد قاموا بإزاحتهم إلى المواقع السياسية التافهة.

لم يكن هناك – بين أجناس المماليك الكثيرة - جنس مملوكي آخر كان مُشَبَّهاً بشعور التعصب العرقي و مملوءاً بشعور التفوق العنصري كما كان المماليك الجراكسة(٢) (!!).

Encyclopaedia of Islam– CD

* * *

!!

- " " :))

()

.)

...!!(

...

()

...

" ()

..

:" " ... "

)

() ..

.. " " - .(("

En. CD 2003 و في المقارنة ما بين العهدين المملوكيين التركي والشركسي أيضاً تقول الموسوعة البريطانية الشهيرة
 Britannica – في مادة Mamluk :

"There is universal agreement among historians that the mamluk state reached its height under the turkish sultans and then fell into Prolonged phase of decline under the circassians. "

:

"

()

..

:

() ()

() " : " .. " (!)

-

-

!!

تعالوا نستمعُ إلى هذا الحوار الطريف الذي جرى بين السلطان العثماني سليم الأول (المنتصر) والأمير المملوكي كرتباي الجركسي (الأسير) ، بعد فتح العثمانيين لمصر ، و الذي رواه لنا مؤرخ مصري صميم هو أحمد بن زنبيل الرمال:

..))

() ((. () !!

- - ..

!!!

.. ..

(١)- للمقارنة بين دولتي المماليك المتعاقبتين في مصر و الشام : التركية و الشركسية انظر مقالة دولة المماليك في موقعنا.
(٢)- تأمل كيف أن العنصرية العرقية و وهم التفوق العنصري هي صفة متجذرة في الشعب الشركسي منذ القديم!، وربما هي اليوم أكثر وضوحاً و صراحة. يقول الأستاذ عدنان قبرطاي في "تهجير الشركاسة" في موقعه: www.geocities.com/adiga2001sy ، والشركسي أبي النفس ، شديد التعصب لديانته وشديد التعصب لقوميته" وفي مقالته تهجير الشركاسة ، يقول: "ويعتبر تهجير الشركاسة من بلادهم الأزلية شمال القفقاس ..من أكبر عمليات التهجير السكاني القسري في التاريخ الانساني الطويل. حيث تم إقتلاع ما يقارب المليونني شركسي (... من جذورهم الأزلية أزل التاريخ في شمال القفقاس منبت العرق الأبيض!! و تأمل جيداً عبارته "منبت العرق الأبيض" و ما تنطوي عليه من عنصرية عرقية ظاهرة ! و بسبب وهم "التفوق الشركسي" فقد أطلقوا على أنفسهم اسم " أديجا " و يعني الإنسان الكامل ، و أطلقوا على الآخرين من غيرهم كلمة " بزاموء " و هي كلمة شركسية تفيد التحقير !!

(٣)- من ص ٧ من كتاب المشرق العربي في العهد العثماني ، د.عبد الكريم رافق ، ط٥-جامعة دمشق.

الشراكسة في العهد العثماني

خضع الشراكسة (مع بقية أقاليم القوقاز الشمالي) في العصر الحديث لحكم القياصرة الروس خضوعاً تاماً بعد إخماد القياصرة لثورات هذه الشعوب ضد سلطتهم بقسوة ووحشية، مما دفع بقسم من الشراكسة (ومن الشعوب القوقازية الأخرى كالداغستان و الشيشان و ...) إلى هجرة قاسية مريرة هلك فيها كثير منهم.

و الدولة العثمانية التي كانت دولة ذات طابع إسلامي واضح - و كانت دائماً تدفع ثمن ذلك بما تنزف من جراحاتها في حروبها المستمرة ضد التكالب الصليبي عليها - رأت أن من واجبها (باعتبارها دولة إسلامية و على اعتبار أن الشركس هم جزء من رعاياها المسلمين) احتضان النازحين منهم ، فاستقبلتهم استقبالاً حسناً ، و حاولت ضمن إمكاناتها الفقيرة و المرتبكية آنذاك أن تقدم لهم المساعدات الممكنة ، و أن تقطعهم أراضي من أفضل أراضيها الميرية (الحكومية)(١) ، و أن تحافظ ما أمكن على تشكيلاتهم العشائرية و تكتلاتهم السكانية الأصلية في أثناء إسكانهم على أراضيها ، و لذلك ترى أن أسماء القرى الجركسية الجديدة التي أسسها مهاجرو الجراكسة في أراضي العثمانيين حملت نفس أسماء القرى القوقازية التي نزحوا عنها ، وكان لهذا الإسكان العشائري الكتلي استراتيجية مدروسة من قبل الدولة العثمانية ، و لعله يهدف إلى فائدة مزدوجة للطرفين :

١- التخفيف عن هذه العشائر المهجرة من وحشة الهجرة و ألم الغربة.

٢- ذلك أضبط لشؤون أمنهم و سلامتهم من غارات اللصوص و البدو.

٣- إن الإبقاء على العشائر و إسكانها مجتمعة كما هي يجعل من ضبط هذه المجموعات البشرية أكثر سهولة على الدولة في إدارة شؤونها و في ضبط وجودها و حتى في تنظيم عملية تقديم المساعدة لها .

٤- كانت إدارة الباب العالي تستفيد من توطين العشائر التركمانية و الشركسية على حد سواء في كثير من الأقاليم التي كانت الدولة تخشى من عدم ولائها ؛ أو في أراض ميرية (حكومية) بوار صالحة للزراعة و جاهزة لاستصلاحها و استثمارها ، و بذلك تستفيد الدولة من وجوه ثلاثة : إصلاح الأراضي البوار ، و توطين العشائر البدوية الرحالة و التي كانت كثيراً ما تتسبب بإثارة المشاكل و النزاعات بسبب طبيعة الحياة البدوية القاسية و المتنقلة ، و ثالثها : أن تزرع في أقاليم التوطين عشائر موالية لها عرقياً و دينياً (كما كانت تفعل جميع الدول الفاتحة من قبل ، كالرومان و العرب و الروس و ...)!

و ما دامت الدولة العثمانية كانت تتعامل في سياستها الإسكانية و غير الإسكانية (كحق المشاركة في تولّي الوظائف الحكومية العليا من وزارات و مناصب عليا مرموقة (٢) و تقديم المعونات و بناء المرافق العامة) معاملة واحدة مع جميع فئات شعبيها (من الأتراك و العرب و الشركس و البوسنيين و غيرهم) وفق ما تراه ضرورة للمصلحة العامة ، فأين يكمن الظلم إذا كان صاحب البيت يعاملك كواحد من أولاده ؟!

(انظر كتاب : إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية ..ترجمة فاروق مصطفى)

(١)- يقول الكاتب الشركسي السوري عدنان قيرطاي متحدّثاً عن هجرة الجراكسة و عن إسكان الدولة العثمانية لبعضهم في الجولان (نقلاً من موقعه: <http://www.geocities.com/adiga2001syr/jolan.htm>) و لقد خصصت السلطات العثمانية لهم أراضي ليبنوا عليها قراهم و أخرى زراعية ليعيشوا منها ، و احتفظوا (أيضاً) بالأراضي الوعرة كمراععي لمواشيهم و الشراكس الذين أتوا عام ١٩٢٣ م (؟) فقد بنوا قرية الحميدية حيث أن السلطان عبد الحميد كان قد أعطى كبيرهم ٤٠ ليرة ذهبية (تأمل!!) لبنين بها مسجدهم كما حدّثني أحد المعمرين قبل ٤٠ سنة."

(٢)- كلنا يعلم أن الإمبراطورية العثمانية ، وإن كانت تركية الملوك ، فقد كانت إمبراطورية تمتاز في أنها كانت مفتوحة لجميع المواهب و الكفاءات من جميع الشعوب التي كانت خاضعة لها ، مهما كان عرقها و جنسيتها، فقد عرفت الدولة العثمانية في مناصبها العليا (كالصدارة العظمى أي منصب رئاسة الوزراء أو الوزراء أو أمانة سر السلطان أو مستشاريه) خلال تاريخها الطويل كثيراً من الشخصيات المتميّزة من الترك و البوسنيين و الألبان و الصرب ، وقد تعاقب على منصب الصدارة عدد من الصدور العظام كانوا من أسرة واحدة كانت مميزة كأسرة سوكولوفيتش البوسنية ، و لقد بلغ كثير من الصرب و الألبان و اليونان و حتى من الأكراد و الشركس و العرب إلى مناصب هامة في دولة العثمانيين ، و من المعروف أن المستشار الأكبر للسلطان عبد الحميد الثاني كان عزت باشا العابد العربي الدمشقي و قريب من ذلك كان أبوه هولو باشا العابد، وأن الشيخ أبا الهدى الصيادي - وهو عربي سوري من قرى المعرة - كان شيخ الإسلام (مفتي الامبراطورية) و موضع توفير السلطان و مشاورته.



المناطق ذات اللون البني فقط هي المواطن الأصلية لتواجد الشركسة(الأديغة و القبرطاي والأبخاز (الأبازة)).



مفتاح الرموز الموجودة على هذا المصور الجغرافي لقفقاسيا (بلاد القوقاز):

- ١- العلم الأزرق الصغير في المصور يشير إلى جمهورية أديجا Adygea و عاصمتها مايكوب.
- ٢- العلم الأحمر الصغير يشير إلى جمهورية كراتشاي- شركسيا Karachay-Cherkessia .
- ٣- العلم الأخضر الصغير يشير إلى جمهورية قبادينو-بلقاريا Kabardino-Balkaria .
- ٤- القلعة الزرقاء على ساحل البحر الأسود هي قلعة أنابا Anapa التي بناها العثمانيون .
- ٥- موضع الإشارة X في المصور يشير إلى جمهورية أبخازيا ABKHAZIA.